القصديّة في قصص الحديث النّبوي
بين تفاعلية الخطاب وأزمة التلقي

المشرف الأستاذة الدكتورة: ليلى سهل
طالبة دكتوراه: أمينة تجاني
قسم الآداب واللغة العربية
كلية الآداب واللغات
جامعة بسكرة (الجزائر)

ملخـــص:

تهدف هذه الدّراسة إلى تسليط الضّوء على الخطاب النّبوي، وبالتّحديد القصة النّبويّة لما اتّسمت به من تفاعليّة خطابيّة ميّزتها عن غيرها من الخطابات ؛ إذ أحدثت تأثيرا واضحا في التّركيبة الفكريّة والنّفسيّة للمسلمين ببيان بديع وفكر رفيع استطاع من خلاله رسول الله- صلى الله عليه وسلم- تغيير المتلقي فكرا وقولا وسلوكا، وتحديد أبعاد هويّته الإسلاميّة ونمط علاقته بالآخر وفق المنهج الرّبّاني المسطّر في القرآن الكريم. وبناء عليه يحاول هذا البحث رصد هذه القصص بمختلف أشكالها، والكشف عن مقاصدها الصّريحة والضّمنيّة، وإظهار مدى فعّاليّتها في هذا العصر وسبل تلقيها. مع تقديم بعض المقترحات التي تستثمر هذه القصص من أجل الدّمج بين تأكيد الذّات والاعتراف بالآخر.

Abstract :

This study deals with the prophetic speech and exactly the prophetic story of what has characterized of interactive rhetorical advantage it from other. either the eloquent and sublime level statement of the prophet -peace be upon him - in an attempt to spotlight on these stories in various forms and the detection of its implicit and explicit purpose and to demonstrate their effectiveness in that era

المنارة للاستشارات

مقدّمة:

إنّ الذّات العربيّة والمسلمة في هذا العصر تكاد تفقد هويّتها ما بين أمواج تتقاذفها من شاطئ إلى آخر، تائهة في بحر أفقدها كيانها واستقلاليّتها ليرمي بها في أحضان الآخر، علّها تجد نفسها أو بعضا منها. خطابات متنوّعة تنوّع إيديولوجيات أصحابها ومرجعياتهم وأهدافهم التي رسموها لتغيير الخارطة الثقافيّة العربيّة، وفي خضم هذا الزّخم الثقافي والمعرفي، وفي عمق الألم وقمّة التّيه والضّياع، يلوح بصيص أمل في خطاب يؤكد الذّات ويتفاعل مع الآخر بكل إيجابيّة، ويرسم في الأفق طريق النّجاة وسلّم النّجاح.

إنّه الخطاب النّبوي الذي يمثل الترجمة السلوكيّة الفعليّة للقرآن الكريم، الخطاب التفاعلي الفعّال الذي استطاع أن يغيّر أمّة من النّقيض إلى النّقيض في ظرف وجيز؛ من أمّة تعاني الضياع والتّشرذم وفقدان الهويّة حالنا اليوم إلى أمّة قويّة أثبتت وجودها بين الأمم – الفرس والروم - بل سادتهم ردحا من الزّمن. خطاب تتجسّد فيه كل سمات التّغيير، فهو الذي منح الأمة العربيّة الإسلاميّة هويّتها في بداية عهدها حتى لا تتاهى في الآخر، وقادها نحو التميّز والرّقي الفكري والعملي والرّوحي.

خطاب بهذه الصّفات قادر على أن يعيد لهذه الأمّة هويّتها المفقودة كما فعلها أوّل مرّة، لما يتميّز به من تجدّد يناسب حركيّة الزّمان والمكان وتغيّراته الكثيرة والمتنوّعة، لأنّه خطاب خالد لخلود رسالته.

ولكن السّؤال الذي يطرح نفسه هنا: كيف يتم استثمار هذا الخطاب النّبوي وخاصّة القصص حتى نحقّق التّغيير المنشود ؛ إثبات هويّتنا وتفاعلنا الإيجابي مع الآخر؟ وهل طريقة تلقينا لهذا الخطاب تتماشى مع مقاصد رسول الله – صلى الله عليه وسلم - أم أنّه يعاني أزمة في الفهم ؟ وهل بإمكاننا تلقّي هذا الخطاب بشكل جديد يتماشى مع روح العصر، ويأخذ بأيدينا إلى تأكيد الهويّة وإثبات الوجود ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة ركزت هذه الورقة على القصّة النّبويّة لما تتمتّع به من قدرة كبيرة على التأثير في النّفوس لتدرّجها في سرد الأخبار، وتشويقها في طريقة العرض، وطرحها للأفكار ممزوجة بعاطفة إنسانيّة مرهفة، وتحفيزها للذّهن لاستيعاب وتقبل كل ما يطرح عليه من مفاهيم وأفكار وآراء من خلال مقاصدها الظاهرة والضمنيّة.

فهي وسيلة فعّالة لإيصال ما نريد لغيرنا بطريقة مؤثّرة، حيث يرى المتلقي القصّة حاضرة أمام مخيّلته بمشاهدها المثيرة وحواراتها المشوّقة، يرى فيها النّتائج الإيجابيّة أو السّلبيّة لفعل ما، أو يرى عاقبة أمر معيّن من خلال أدوار وحركات وأفعال وحوارات تترابط مع بعضها البعض لتشكل نسيجا عامّا يقودنا في نهاية القصّة إلى مقصد سام أو غاية نبيلة أو توجيه تربوي أو رسالة هادفة. وما يؤكّد ذلك ما نلاحظه اليوم من تأثير قوي وفعال للقصص والروايات والمسرحيّات التي تعرض عن طريق التّمثيل التّلفزي أو السّينمائي الذي أضحى اليوم سمة العصر، حيث يهاجمنا في بيوتنا ليحطم مفاهيمنا وقيمنا ومبادئنا، ونحن لا نحرّك ساكنا.

المنارة للاستشارات

ولتوضيح النّهج الذي ستخطه الدّراسة حدّدنا الكلمات المفتاحيّة التّالية : القصّة النّبويّة، القصديّة، القصديّة في القصّة النّبويّة، تفاعليّة الخطاب القصصي، أزمة التلقي.

1- تعريف القصّة :

أ- لغة :

جاء في مقاييس اللغة لابن فارس:" القاف والصاد : أصل صحيح يدل على تتبع الشّيء من ذلك قولهم : قَصَّ الشّيء يَقُصُّه وقِصَصًا بمعنى تتبّعه لأمر وغاية ينتهي إليها من ذلك التّتبّع. ومن ذلك قولهم: اقتصصت الأثر إذا تتبّعته "[1]. ومنه قوله تعالى:﴿وقالت لأخته قصّيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون﴾[2]، أي تتبّعي أثره لتعلمي خبره. وقد يأتي القصّ " بمعنى البيان، ومنه قوله سبحانه وتعالى في قصّة يوسف -عليه السّلام- مع إخوته: ﴿نحن نقصّ عليك أحسن القصص﴾[3]، أي : نبيّن لك أحسن البيان "[4].

و عليه فالقصّة في اللغة هي الأثر أو الخبر الذي يتّبعه المستمع والمتلقي ليوجّهه في حياته فيسير على هديها ومنوالها ليصل إلى هدفه المنشود.

ب – اصطلاحا :

القصة هي حكاية نثرية هادفة ذات حبكة مترابطة، مستوحاة من الخيال أو الواقع تعزز الجوانب الإيجابية وتخلو من الخرافات والمعاني السلبية[5]. وهي أيضا "فن أدبي إنساني تتّخذ من النّثر أسلوبا لها، تدور حول أحداث معيّنة يقوم بها أشخاص في زمان ما، ومكان ما في بناء فنّي متكامل، هادف نحو بناء الشّخصيّة المتكاملة "[6]. وتعدّ القصّة "من الأنواع الأدبيّة البارعة التي يمكن للقاص بها أن يقرّر المبادئ ويمكّن للأهداف"[7]. فهي ترسم خطوات الحياة الإنسانيّة من كل الجوانب ليتتبّعها المتلقي فيصل إلى برّ الأمان.

2- القصة النبوية:

هي القصة التي يحكيها النبي - صلى الله عليه وسلم - عن نفسه أو عن الأمم السابقة أو المواقف الغيبية التي تندرج تحت باب القصص النبوي، وهي تهدف إلى بناء القيم وترسيخ مبادئ الإسلام في النفوس وصياغة الشخصية المسلمة على نحو متميز وفق المحددات القرآنية. فهي تقدّم "مجموعة أحداث مرتّبة ترتيبا سببيّا، تدور حول مواضيع إنسانيّة شتّى، جوهرها تصوير الحياة بما فيها من نماذج بشريّة وتحليل أحاسيسها ومعرفة نفسيّاتها وتشريحها "[8].

إنّ القصّة النّبويّة ترسم منهجا واضحا، وطريقا سويّا ناجحا لصناعة الإنسان وبنائه وفق المبادئ الإلهيّة للمنهج الرّبّاني المسطّر في القرآن الكريم ؛ وذلك للوصول إلى الأهداف الكبرى التي خلق من أجلها الإنسان: الخلافة، العبادة، العمارة. ولهذا لم يذكر النّبي - صلى الله عليه وسلم - شخصيّات نمطيّة اصطناعيّة ذات وجهة محدّدة، بل أبطال القصص تنتمي إلى الواقع الوجودي بما فيه من خير وشر،

المنارة للاستشارات

وحب وكره، وطمع وحرص... وفي أغلب الأحيان تضع المتلقي أمام نقيضين ليقارن ويختار الأفضل ليتّبعه كنموذج بشري ناجح يسير على خطاه ويتتبع أثره حتى ينجح في حياته مثله ويقود مجتمعه لأنّ النّجاح أوّل معيار للقيادة. وعليه فالقصّة النّبويّة ترسم خطوات الأمّة القائدة، والمؤمن النّاجح، والمجتمع المثالي المتكافل اجتماعيّا، والمتعاون اقتصاديّا والمتطوّر علميّا.

2- مفهوم القصديّة :

إنّ القصديّة هي أحد المعايير النّصيّة السّبعة التي ذكرها (روبرت دي بوجراند)[9] ضمن نظريّته في لسانيّات النّص ؛ حيث يفقد النص نصيته إذا ما غاب عنصر منه وهي: الاتساق، الانسجام، القصديّة، الموقفية، المقبولية، الإعلامية، التناص.

والقصديّة تتضمن موقف منشئ النص وهدفه من بناء نص متماسك منسجم لأنه لابد أن يكون للحدث اللغوي نية الدلالة ، فليس نصّا ما يقوله المكره أو السكران. ولإدراك مفهوم القصديّة أكثر سأتطرق إلى مفهومها لغة واصطلاحا.

أ- **لغة :**

أخذت كلمة قصديّة من الفعل قصد، وقد جاء في لسان العرب " القصد: استقامة الطريق... طريق قاصد: سهل مستقيم، وسفر قاصد: سهل قريب، وقصدت قصده: نحوت نحوه، والقاصد : القريب، والقصد: العدل "[10].

ب- اصطلاحا :

القصديّة هي " موقف منشئ النّص من كون صورة ما، من صور اللغة قصد بها المتكلم نصّا يحمل معنى بعينه، وهذا النّص وسيلة للوصول إلى غاية ما. ويشترط فيه تحقق الاتّساق والانسجام ؛ لتحقق القصديّة "[11].

وقد عرّفها سيرل أيضا بقوله "هي تلك الخاصية لكثير من الحالات والحوادث العقلية التي تتجه عن طريقها إلى الأشياء وسير الأحوال في العالم أو تدور حولها أو تتعلق بها"[12]. فالقصديّة تبعا لهذا التعريف اعتقادات ورغبات موجودة داخل الإنسان تنتج عنها أفعالا ظاهرة في الواقع ، وعليه فكل شيء يحدث في العالم له قصديّة دفعت إليه. أي أنّ "الحالات القصديّة عند (سيرل) هي تلك الحالات التي تحتوي مضمونا قصديّا يدل على شيء أو موضوع، وتظهر في شكل سيكولوجي معين يحدد لها اتجاه مطابقة وقصديّة هذه الحالات قصديّة باطنية لأنها أفعال عقلية، فالعقل هو الأساس العميق الذي تشتق منه الصور القصديّة الأخرى كقصديّة الصور والرموز واللغة "[13].

من خلال هذا التعريف يمكن ربط القصديّة بالنية ؛ لأنّها حسب (هوسرل) "علاقة إحالة بين الوعي أو أفعال الوعي وموضوعات الوجود الخارجي"[14]. فكل فعل إنجازي في الوجود الواقعي له قصد باطني أحال إليه. وهذا ما جعل (سيرل) يربط قصديّة الأفعال العقليّة بقصديّة الأفعال الكلاميّة،

المنارة للاستشارات

ثمّ يقسّم القصديّة إلى : باطنيّة ومشتقّة ؛ فالباطنيّة (الأصليّة) هي التي لا تخضع لملاحظ خارجي كالرّغبات والاعتقادات... فهي تمثيلات عقليّة خاضعة لذواتنا ومستقلة عن الملاحظ، أمّا القصديّة المشتقة فهي المعتمدة على الملاحظ مثل قصديّة اللغة [15].

وهذا يعني أنّ النّيّة هي القصديّة الباطنيّة، وهي روح الأعمال في الدين الإسلامي ؛ حيث لا يمكن فهم أي قول أو فعل دون الاحتكام إلى نية الشخص فيه كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " إنّما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه "[16].

فالفعل الإنجازي المباشر هنا هو الهجرة، والفعل القصدي الباطني غير المباشر هو الزّواج من المرأة أو إصابة المال، ومن هنا نتبيّن أهمية القصديّة في فهم المعاني والمواقف وما إلى ذلك، لأنّ " المعنى اللغوي صورة حقيقيّة من القصديّة ولكنّه ليس قصديّة باطنيّة، وإنّما قصديّة مشتقّة من القصديّة الباطنيّة لمستعملي اللغة "[17].

3- النظام اللغوي والقصديّة :

إنّ اللغة هي الحامل المادّي للأفكار والمترجم الحقيقي للرّغبات ؛ فلأجل إيصال الفكرة لابدّ من صياغة مفرداتها التّكوينيّة الفكريّة وإفراغ مضمونها وفق اللغة، وهو ما يسمّى "إعادة الهيكلة الفكريّة الذّهنيّة في ضمير الإنسان إلى هيكلة لغويّة وفق منظور رمزي ناقل لتلك المفردات وإعطائها حرّيّة الانتقال من أنا المفكّر إلى الآخر المتلقي"[18]. وهذه الانتقاليّة تأخذ صورا متعدّدة لأنّ " الإنسان ينطلق بالكلام يريد به معنى واحدا من المعاني التي يتضمّنه الكلام، فإذا فسّر بغير مقصود المتكلم من تلك المعاني، فإنّما فسّر المفسّر بعض ما تعطيه قوّة اللفظ وإن كان لم يصب مقصود المتكلم"[19].

وانطلاقا من هذا المفهوم قوّة اللفظ، فإنّ اللغة تملك قوّة دلاليّة تخضعها لتقبّل الشّرح المتعدّد والمتنوّع أي أنّ للفظ الواحد دلالات كثيرة تختلف من متلقي إلى آخر. ولتوضيح ذلك أكثر أقدّم هذه القصّة :

" قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- لحذيفة بن اليمان - رضي الله عنه- : كيف أصبحت ؟ فقال حذيفة : أصبحت أحبّ الفتنة، وأكره الحقّ، وأصلي بغير وضوء، ولي في الأرض ما ليس لله في السّماء. فغضب عمر- رضي الله عنه -، ودخل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقال لعمر : على وجهك أثر الغضب يا أمير المؤمنين ؟ فقصّ عليه ما أغضبه من حذيفة. فقال علي: لقد صدق حذيفة، أمّا حبّه للفتنة فهو يعني المال والبنين ؛ لأنّ الله - تعالى - يقول "أَنَّمَا أَمْوالُكُم وَأَولادُكُم فتْنَة "[20]. وأمّا أنّه يكره الحقّ فهو يكره الموت، وأمّا صلاته بغير وضوء فيعني بها صلاته على النّبي - صلى الله عليه وسلم- وأمّا ما له في الأرض ما ليس لله في السّماء فهو يعني أنّ له زوجة وولدا، وليس لله زوجة ولا ولد. فقال عمر : والله لقد أقنعتني وأرحتني "[21].

المنارة للاستشارات

من خلال هذه القصّة يتّضح لنا تعدّد صور ودلالات اللفظ الواحد عند انتقاله من المتكلم إلى المتلقيَيْن (عمر وعلي)، وذلك راجع إلى القصديّة (فهم القصد وعدمه). وعليه فإنّ انتقاليّة النّظام اللغوي يأخذ صورا متعدّدة هي :

أ- أن يكون الانتقال مطابق لمقاصد المتكلم حيث تتوحّد الصّورة الذّهنيّة بين المتكلم والمتلقي (فكرة - أسلوب- هدف).

ب- أن يكون الانتقال تصرّفيّا من المتلقي وفق مقدّماته هو، فهو يتلقّى المفردات على أنّها صور ذهنيّة قابلة للالتقاط من زاوية هو يحدّدها. وهنا ليس من الضّروري أن تتطابق أصل الفكرة وصورتها عند المتلقي (فكرة- أسلوب- هدف) فالهدف أصبح أهدافا وهذا الأمر انحراف عن القصديّة. أي الفشل الذي يعود إلى :

- فشل المتكلم في صبّ الفكرة في قالبها الأبجدي المناسب.

- فشل الأبجديّة باحتواء وصياغة الفكرة من خلال القصور في الوسائل والأساليب المناسبة، وذلك لعدم قدرة الأبجديّة على التّفاعل مع الجديد.

- فشل المتلقي في إدراك ماهيّة القصد الفكري للمتكلم لعلة من العلل المسؤولة عن الفهم (ضعف القابليّة- الأبجديّة- الفكرة).

ج- أن لا يكون المتكلم قاصدا أن تكون الصّورة الذّهنيّة عند المتلقي بالكيفيّة التي هي في المكوّنات الذّاتيّة الذّهنيّة لديه، وإنّما طرحها دونما أن يقصد ترسيخها في ذهن المتلقي وعليه يكون هذا النّوع من العمل عبثا. والعبث إشارة إلى الفشل والخروج عن حقيقة الفكر الإنساني [22].

من هنا نجد أنّ القصديّة تلعب دورا كبيرا في تحديد الدّلالات اللغويّة، فكلما كان وصول الفكرة في قالبها اللغوي إلى المتلقي حسب قصد المتكلم أو المفكر كان تطبيقها وممارستها في الواقع الوجودي مناسبا لروح الفكرة وقصدها، وهذا ما يحقّق النّجاح حتما. أمّا الفشل في وصول الفكرة يؤدّي إلى شرخ بين المتكلم والمتلقي ينتج عنه انفصالا بين الفكرة والممارسة العمليّة لها، "وهذا ما يفسّره الاختلاف الفكري بين التّيارات الفكريّة المنطلقة من نظريّة واحدة بقصد واحد لتصل في النّهاية إلى عالم متعدّد الأفكار المتناقضة والمتصارعة فيما بينها "[23].

وعليه فإنّ نجاح المتلقي في استلام الرسالة الفكرية كما صيغت في ذهن المفكر تتطلب "بيان القصد ونجاح اللغة والأبجديّة الصّوتيّة في نقل الأثر الذّهني بين المفكر والمتلقي وبالصّورة المرادة وبالطريقة الذّكيّة ومن خلال استخدام الوسائل المناسبة مع القصد والهدف وفق رؤية متكاملة "[24].

4- القصديّة في القصة النّبويّة :

إنّ الخطاب النّبوي بما فيه من قصص هو امتداد للقرآن الكريم ؛ المنهج الرّبّاني الذي ارتضاه المولى -عزّ وجل- لعباده، وهذا يعني تعايشه مع كل زمان ومكان، فهو الأصلح دوما للاستجابة

المنارة للاستشارات

للحاجات والمستجدّات التي تطرأ على الإنسان. وهذا يعني أن النص النّبوي نصّ مفتوح يحمل معنى متحرّكا يوافق حركة التّاريخ وتحوّلات الفكر الإنساني في مختلف العصور، ويناسب المتغيّرات الزّمانيّة والمكانيّة. وعلى الباحث فهمه والانطلاق من لغته العربيّة وظواهرها المختلفة للوصول إلى نتائج تخدم المجتمع الإنساني بأكمله.

إنّ القراءة القصديّة للقصّة تستدعي جمع كل القصص والتركيز على مقاصدها الجلية والخفية، لأنّ القصديّة تعني أنّ القصص وضعت بشكل مقصود ومتعمّد، وأنّه لا يمكن أن تسد قصّة مسدّ قصة أخرى فهي مقصودة لذاتها. ولهذا ستكون العناصر المنهجية المتبعة في تحليل معيار القصدية، هي : الأفعال الكلاميّة لما تملكه من قوّة إنجازيّة ترتبط ارتباطا وثيقا بالمقاصد الظاهرة، والمقاصد الباطنة.

أ- الاستفهام:

يعدّ الاستفهام من الآليّات التّوجيهيّة ؛ بوصفها توجّه المرسل إليه إلى ضرورة الإجابة عنها، ويستعملها المرسل للسيطرة على مجريات الأحداث، والسيطرة على ذهن المرسل إليه، وقد ورد الاستفهام في القصّة بشكل واضح وجلي، من ذلك:

قوله - صلى الله عليه وسلم - :" **هل تدرون أول من يدخل الجنّة من خلق الله ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أول من يدخل الجنّة من خلق الله الفقراء والمهاجرون...**"[25]. لم يكن القصد من الاستفهام الجواب المباشر، بل أن تأتي الإجابة باستجابة فعلية، فالاستفهام هنا ليس حقيقيّا بل هو توجيه، وقد صنّف (باخ) الأسئلة ضمن أصناف الأفعال التّوجيهيّة، وهذه الأخيرة "تعبّر عن توجه المرسل إلى أن ينفذ المرسل إليه بعض الأفعال في المستقبل"[26].

فالقصد الخفي وراء هذه القصة هو معالجة مشكلة نفسية من خلال دعوة المسلم إلى التحلي بالأخلاق السامية التي تذكرها القصة ؛ كالرّضا بالقليل، والقناعة بما في اليد، وترك الطمع والحرص وحب الدّنيا وعدم التطلع إلى ما في يد الغير، والابتعاد عن الغنى بطرق غير مشروعة... حتى يعيش في سعادة دنيا وأخرى.

سؤال عائشة – رضي الله عنها– للنّبي -صلى الله عليه وسلم - : "**هل أتى عليك يوم كان أشدّ ممّا لقيت منهم يوم العقبة** " فردّ - عليه الصلاة والسّلام - : "**لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدّ ما لقيت يوم العقبة ؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني على ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثّعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إنّ الله قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال، فسلم عليّ، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النّبي: "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا..**"[27].

المنارة للاستشارات

إنّ إجابة النّبي - صلى الله عليه وسلم - وإن كانت ظاهريا ردّا على سؤال مباشر، إلا أنها تبطن مقصدا خفيّا يتمثل في توجيه المسلم لممارسة خلق التّسامح والعفو مع الآخر لأنّه - صلى الله عليه وسلم- لم يقبل دعوة ملك الجبال، ولكنه عفا عن قومه وسامحهم رغم ظلمهم له وإذايتهم إياه.

ب- الإخبار :

إنّ توجيه المتلقي وجهة معيّنة يستلزم أوّلا إخباره بالأمر الذي يجهله وإشراكه في صميم القضيّة المعبّر عنها، فلابد من إعطاء معطيات إخباريّة قبل كل شيء، وهذا ما سلكه رسول الله – صلى الله عليه وسلم- في سرد قصصه، من ذلك:

قوله : "**... إنّ الله قد غفر للكفل** "[28]. وقوله أيضا : "**غفر لامرأة مومسة...** "[29]. لم "يعد الإخبار هو القصد الوحيد عند المرسل، وإن عددناه واحدا من مقاصده، فليس القصد الرّئيس، إذ يختبئ وراءه قصد آخر"[30]. فليس غاية قصد النبي – صلى الله عليه وسلم- هو إخبارنا بأن الله تعالى غفر للكفل والمرأة المومسة، ولكن يختبئ وراء ذلك قصدا ضامرا ؛ أما القصة الأولى فيتمثل في توجيهنا إلى عدم استغلال المرأة الضّعيفة والذّليلة وخاصة أصحاب النفوذ المادّي والسّلطوي كما في قصة الكفل صاحب الأموال الذي ساوم المرأة المحتاجة على نفسها. وأما القصة الثانية فيدعونا إلى الاتّصاف بالرحمة في التعامل سواء أكان ذلك مع الإنسان أم الحيوان كما في قصة المومسة.

وقوله : "**كان في بني إسرائيل رجل عابد يقال له جريج، فابتنى صومعة وتعبّد فيها، قال: فذكر بنو إسرائيل يوما عبادة جريج، فقالت بغيّ منهم: لئن شئتم لأصيبنّه ؟! فقالوا: قد شئنا. فأتته فتعرّضت له، فلم يلتفت إليها، فأمكنت نفسها من راع كان يأوي غنمه إلى أصل صومعة جريج فحملت، فولدت غلاما، فقالوا: ممّن؟ قالت: من جريج. فأتوه فاستنزلوه فشتموه وضربوه وهدّموا صومعته، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: إنّك زنيت بهذه البغي، فولدت غلاما. قال: وأين هو؟ قالوا: ها هو ذا. قال: فقام فصلى ودعا، ثم انصرف إلى الغلام فطعنه بإصبعه وقال: بالله يا غلام، من أبوك؟ قال: الرّاعي**"[31].

لم يروِ رسول الله – صلى الله عليه وسلم- هنا قصة رجل من بني إسرائيل، ولكنه كان يرمي إلى الكشف عن المشكلات الاجتماعيّة التي تواجه المسلم ويبيّن طريقة حلها ؛ فمن خلال هذه القصّة نستشفّ ظلم النّاس لجريج باتّهامهم له بالزّنا، ومن ثَمّة ضربه وشتمه وتحطيم صومعته، رغم كونه إنسانا عابدا وعلمهم بذلك. ومع الظلم والأذى إلا أنّه حاول حل المشكل بالحوار والاستعانة بالله تعالى بالدّعاء، ولم يفكر في استعمال العنف والرّد بالمثل. لذلك أنطق الله الغلام وبرّأ جريج من التّهمة المنسوبة إليه لالتجائه إليه، لقوله تعالى: ﴿إنّ الله يدافع عن الذين آمنوا﴾[32].

فالقصد الخفي من القصّة هو معالجة مشكلة اجتماعية تتخبّط فيها المجتمعات ؛ وهي الظلم والأذى والقذف والاتّهام زورا... من خلال إظهار الحل حتى يتبعه المسلمون ؛ فالحوار والاستعانة بالله

المنارة للاستشارات

تعالى بالتضرّع له تُخلّص العبد ممّا ابتلي به، وتبعده عن الدّخول في صراعات تؤدّي بطبيعة الحال إلى التشتّت والتفرق، ومن ثمّة الضّعف والتقهقر ؛ فقوّة الدّول وتقدّمها تبدأ بتماسك مجتمعاتها.

وقوله - صلى الله عليه وسلم - في قصّة الملك والغلام: "**كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر... فبعث إليه غلاما يعلمه السّحر، فكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه...**"[33].

لا تكمن الغاية هنا في سرد القصّة بكل مجرياتها والإخبار بما حدث، ولكن القصد وراء القصة هو توجيه المسلم إلى سبيل تغيير المجتمع بالطرق السلمية بعيدا عن العنف بكل أشكاله، فالغلام واجه الملك الظالم والطاغية الذي يدّعي الرّبوبيّة، بل أكثر من ذلك حيث غيّر معتقد أهل المدينة من دون أن تنزل قطرة دم واحدة.

فالمقصد الخفي للرسول – صلى الله عليه وسلم – في هذه القصّة هو معالجة مشكلة سياسيّة، تتمثل في طغيان وظلم صاحب السلطة والقوة ؛ الملك أو الرّئيس. وذلك بتقديم الحل الناجع والمناسب في كل زمان ومكان، مفاده أنّ التغيير يكون بالعمل الجاد والمفيد للمجتمع حتى يُنتج قابليّة وإقناعا، ثم يُثمر تأثيرا وتغييرا. فالدين ليس إيمانا بالقلب فحسب، ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل.

فالقصد الباطن للقصة إذن هو استعراض الطرق السّلميّة للتغيير؛ سواء أكان في المعتقد والدّين أم في الحكم والسّلطة. فليس بالضّرورة قتل الأبرياء من أجل منازعة سلطان ظالم في حكمه، وتغييره بالعنف كما نشهد اليوم مع أيّام الرّبيع العربي.

إنّ القصّة تحكي ظلم الحاكم وادّعائه الرّبوبيّة، وإجبار شعبه على عبادته، هذا من جهة ومن جهة أخرى توضّح طريقة انتشار الإيمان بين النّاس، وذلك من خلال الغلام الذي يمثل القائد القادر على تغيير الأمور بشكل سلمي ؛ فهو لم يكن نبي ولا مرسل، بل غلاما عاديا ولكنّه استقى الإيمان من منبع صاف، فتغلغل في قلبه ومن ثَمّة دفعه إلى العمل لأجل الله تعالى، فتحمّل المسؤوليّة وبادر بالعمل دون طلب منه، وذلك حين قتل الدّابّة، ثمّ قام بمساعدة المرضى والمحتاجين بالدّعاء والتّضرّع إلى الله حتى يعلمهم بطريق غير مباشر بأنّ له إلها غير الملك، وكان فعّالا وإيجابيّا يقدّم خدماته لكل النّاس دون تمييز بينهم، فعالج حتى جليس الملك. ولمّا كُشف أمره وحدث الصّراع بينه وبين الملك لم يدخل النّاس كطرف ثالث للدّفاع عنه، بل واجهه وحاوره لوحده، حتى تغلب عليه أمام أعين النّاس الذين آمنوا بفضل هذا الغلام.

فالغلام رغم صغر سنّه إلا أنّه استطاع تحويل النّاس من عبادة الملك الطاغية إلى عبادة الواحد الأحد وتغيير الأديان من أصعب الأمور والدّليل على ذلك ما حدث للأنبياء مع أقوامهم. ولكن القصّة تضع أمام المتلقي خطة محكمة ذات خطوات ثابتة لمحاربة الظلم والقهر؛ بداية بالإيمان بالله - عز

المنارة للاستشارات

وجل - والعمل لأجله بإخلاص النيّة، ثمّ تحمل المسؤوليّة تجاه المجتمع والمبادرة بالعمل دون مقابل، ثم مساعدة كل النّاس دون تمييز والإحسان إليهم بما يضمن قوّة التأثير فيهم ومن ثمّة القدرة على إقناعهم، ثم مواجهة الظلم وجها لوجه منفردا، ومحاورته بالتي هي أحسن حتى يتم التّغيير دون نزول قطرة دم واحدة وإن لم يحدث ذلك فالتّضحية بالنّفس لأجل الله تعالى كما فعل الغلام الذي ضحّى بنفسه لأجل إعلاء كلمة لا إله إلا الله، فقتل نفس واحدة صادقة في مسعاها خير من قتل النّاس جميعا دون جدوى.

وقوله: "**بينما رجل بفلاة من الأرض إذ سمع صوتا في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحّى ذلك السّحاب، فأفرغ ماءه في حرّة، فانتهى إلى الحرّة فإذا هو في أذناب شراج، وإذا شرجة من تلك الشّراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتبع الماء، فإذا برجل في حديقته يحوّل الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان، بالاسم الذي سمع في السّحابة، فقال له: يا عبد الله لِم تسألني عن اسمي؟ قال: سمعت صوتا في السّحاب الذي هذا هو ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أمّا إذا قلت هذا ؛ فإنّي أنظر إلى ما خرج منها فأتصدّق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثه، وأردّ فيها ثلثه**"[34].

فالنبي - صلى الله عليه وسلم- لا يرمي إلى الإخبار بصنيع الرجل في حديقته، ولكن قصده الحقيقي يتمثل في توجيه المسلم إلى طريقة ناجعة لاستثمار المال وزيادته وتنميته، وذلك بتقسيمه إلى ثلاث: فثلث للإنفاق على الأهل والولد، وثلث لتوسيع المشروع الاقتصادي، وثلث للتّصدّق على الفقراء والمحتاجين.

وهي خطّة اقتصاديّة تضمن نجاح المستثمر وزيادة ماله، لقوله تعالى: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾[35]. ولقوله: "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا. ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا "[36]. وتطهيره أيضا من المال الحرام، لقوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهّرهم وتزكيهم بها﴾[37]. وكذلك تساهم في تطوير وازدهار المشروع ما يؤدّي إلى توفير مناصب عمل بسبب الاحتياج لليد العاملة، إضافة إلى ذلك إعالة المحتاجين والقضاء على مظاهر الفقر من تسوّل وغيرها.

وما أحوجنا اليوم إلى مثل هذه الخطط التي تساعد أرباب الأعمال على النّجاح في الميدان والمساهمة في تطوير المجتمع وتحسين اقتصاد الدّولة.

وقوله: "**قال رجل لأتصدّقنّ بصدقة فخرج بصدقة فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدّثون تُصُدّق على سارق! فقال: اللهم لك الحمد، لأتصدّقنّ بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدّثون تُصّدّق الليلة على زانية. فقال: اللهم لك الحمد على زانية! لأتصدّقنّ بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد غنيّ، فأصبحوا يتحدّثون تُصُدّق على غني. فقال: اللهم لك الحمد على سارق وعلى زانية وعلى غنيّ. فأتي فقيل له: أمّا صدقتك على السّارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأمّا الزّانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأمّا الغنيّ فلعله يعتبر فينفق ممّا أعطاه الله**"[38].

المنارة للاستشارات

إذا كان القصد الظاهر من هذه القصّة هو توجيه المسلم إلى دفع الصّدقة لمساعدة الفقراء والمحتاجين، لكن القصد الخفي يتجلى في توضيح السّبيل للقضاء على الآفات الاجتماعيّة كالسّرقة والزّنا، لأنّ الدافع إليها هو طلب المال، والآفات النفسيّة أيضا كالبخل والشّح التي باعثها هو الحرص على المال. فالصّدقة تغني السارق وتعفّه عن السّرقة، وكذلك تغني الزانية وتعفّها عن الزّنا. وعليه فلا نحتاج سجونا لإعادة التربية وتأهيل السّارقين والزّناة، ولكن نحتاج إلى انتشار فقه الصّدقة وتفعيله في المجتمع حتى يعفّ النّاس عن ارتكاب الموبقات التي أهلكت الأمة وسلختها عن ذاتها الإسلامية، ويريح الدّولة من أعباء السجون الكثيرة التي تثقل كاهلها دون نفع أو جدوى.

وقوله: "**مثل القائم على حدود الله والمدهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها يصعدون فيستقون الماء فيصبّون على الذين في أعلاها فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذونا، فقال الذين في أسفلها: فإنّا ننقبها من أسفلها فنستقي، فإن أخذوا على أيديهم فمنعوهم نجوا جميعا، وإن تركوهم غرقوا جميعا**"[39].

القصد الخفي الذي يرمي إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم- من وراء سرد هذه القصّة هو تعليم المسلم الفعّاليّة في المجتمع وطريقة التصرّف إزاء موقف ضار بالأمّة، لأنّ الحياة الإنسانيّة هي سفينة الحياة التي يتقاسمها نوعان من البشر في كل زمن: المصلحون والمفسدون. فلا يخلو زمن من هذين النّوعين. والفعالية تكون بالإحساس بالمسؤوليّة والمبادرة بالإصلاح في المجتمع وتجنّب اللامبالاة، وعدم ترك المجال فسيحا للمفسد بحجّة فساد الزّمن لأنّ ذلك يؤدّي إلى الهلاك وغرق السّفينة، وحينها لن ينجو أحد.

إنّ الحديث الشّريف امتداد للقرآن الكريم الذي يمثل منهج الأمّة الإسلاميّة ودستورها في الحياة الذي ارتضاه الله- عز وجل- لها، فهو يحوي بين طيّاته نظريّات في السّياسة والاقتصاد والاجتماع والعلم والتربية والتعليم ؛ والسّنّة النّبويّة المطهّرة بما تحويه من أحاديث وقصص جاءت مترجمة لهذا المنهج عمليّا وسلوكيّا على أرض الواقع، من خلال ذكر نماذج منوّعة من البشر حاولت الإصلاح في الأرض، كل حسب عمله وتوجّهه والجانب الذي أصلح فيه، وعند جمعها كلها واستخلاص مقاصدها التي ترمي إليها نجد أنفسنا أمام برنامج إصلاحي واعد يمسّ كل مناحي حياة الإنسان ؛ التّربويّة والاقتصاديّة والتّعليميّة والسّياسيّة والاجتماعيّة، يؤكد ذاتنا ويثبت وجودنا ويغنينا عن كل الدّساتير الوضعيّة والبرامج الغربيّة في الإصلاح.

5- تفاعلية الخطاب وأزمة التلقي :

إن النبي – صلى الله عليه وسلم- في هذه القصص لم يكن من المنظّرين الذين صرفوا كل جهدهم ووقتهم لكتابة النظريات التي تبقى طيّ الأوراق، ولم يكن من المؤرّخين الذين يؤرّخون لأحداث ماضية، ولم يكن حاكيا أو راويا يسلّي النّاس في ليالي السّمر. ولكنّه كان يبني أمّة قويّة ومجتمعا مثاليّا

المنارة للاستشارات

متماسكا من خلال إعداد الفرد وتوجيهه في حياته من جميع النّواحي ؛ الاجتماعيّة، التربويّة، الاقتصاديّة... فقصصه كلمات ولكنها تشي بأفعال، فهي ذات قوّة إنجازيّة قادرة على تحقيق ما نصبو إليه ؛ تأكيد ذاتنا فبالكلمات نغيّر العالم كما يقول (أوستين).

فهذه القصص النّبويّة تمثل ثقافة حياة ؛ علم وعمل، فهم وممارسة، وعي للذّات المسلمة كيف تكون؟ وتطبيق عملي في الواقع بما يناسب حقيقة هذه الذات والطريق الذي رُسم لها. قصص تبني الفرد المسلم من كل الجوانب وتتفاعل معه على مرّ العصور رغم اختلاف الزّمان والمكان، لأن الحياة الإنسانيّة متشابهة "فوق ظهر هذه الأرض في استقامتها وانحرافها، وحتى النّماذج البشريّة المنحرف منها والمستقيم نماذج مكرورة، ولذا فإنّ القرآن الكريم والحديث النّبوي يحدّثنا كل منهما أحاديث نجد فيها أنفسنا، أو نجد فيها رجالا من حولنا فكأنّما التصوص وهي تروي قصّة فلان تحدّثنا عمّا نعانيه من البلاء، أو ما ننعم به من الرّخاء، أو كأنّما هي تحدّثنا عن الحاكم العادل الذي يعيش بيننا، أو الجبّار الطاغية الذي يصول ويجول مفسدا في الأرض، وقد تحدّثنا عن نماذج إنسانيّة عاديّة، فقد يكون المتحدّث عنه مزارعا صالحا أو تاجرا أمينا صادقا، أو إنسانا رحيما "[40]. ولا نحيد عن الصّواب إن قلنا : إنّ القصص النّبويّة ثروة ثقافية للإنسانيّة قاطبة.

إذن هذه هي القصص ومقاصدها الصريحة والضمنية، وهي تهدف إلى تأكيد الذات المسلمة المتميّزة فكرا وقولا وسلوكا، لأن إثبات الذات يتحقق من خلال الهوية ؛ اللغة والدين والثقافة. وعليه فالأزمة الحقيقية التي نعاني منها اليوم هي أزمة هوية وإثبات وجود ؛ وتتجلى في مظهرين: داخلي وخارجي.

أما الأزمة الداخلية فتتمثل في أزمة التلقي؛ وتتضح في كيفية التعامل مع القصة النبوية خاصة والخطاب الديني عامة، فنحن لم نفهم هذه القصص على الوجه الذي أراده رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ولم نع مقاصدها الخفية التي ترمي إليها، ما أنتج ثلاث أنماط من المتلقين ؛ متلقي سلبي غير فعال، وآخر علماني تابع، وثالث متطرف لا يعترف بالآخر.

فالأول اعتمد على القصد الظاهر في القصة النبوية وتوقف عنده دون تبصّر، فبقي متحجّرا، قابعا في القديم لم يُفِد نفسه ولا مجتمعه، وهذا ما أدى به إلى التمسك بهويّته دون التفاعل مع الآخر وما أنتج من جديد، خاصة ونحن في عصر العولمة. والثاني أبعد القصة النبوية عن مظاهر الحياة المختلفة (العلم والثقافة والسياسة والحضارة) وجعلها حبيسة العبادة دون غيرها من ثقافة الحياة، وهذا ما جعله يفقد هويّته وينصهر في بوتقة الآخر ويعيش في ظله. والأخير استغل هذه القصص لمآرب شخصية ونزعات فردية في محاولة لإثبات ذاته وتأكيدها في هذا العصر، ولكنه ضيّعها بسبب فكره المتطرف الذي أكسبه عداوة الآخر.

المنارة للاستشارات

وأما الأزمة الخارجية فتتمثل في الغزو الفكري والثقافي الوافد إلينا من الأمم الأخرى، والذي تجسده العولمة التي تسعى إلى ابتلاع ثقافات الأمم والشعوب، والقضاء على هذا التنوع الثقافي والحضاري في العالم. هذه العولمة سلاح ذو حدّين ؛ إما أن تتيح فرصة نوعية لانفتاح الشعوب والثقافات على بعضها البعض لغاية التعريف بالتراث الحضاري والفكري واللغوي والروحي للشعوب، ما يؤدي إلى احترام الحق في الاختلاف والتنوع والاعتراف لكل ثقافة بإسهاماتها في الحضارة الإنسانية الواحدة، أو أنها تؤدي إلى تدمير الثقافات، إذا كانت غايتها إلغاء الآخر بفرض التجانس، مما يؤدي إلى تحويل النتاجات الثقافية إلى سلع تتحكم فيها قوانين السوق[41].

وهي اليوم تظهر للعيان بمفهومها السلبي حيث تسعى "إلى تطويق الإبداع الأدبي والفني لدى الشعوب ذات الهويات الثقافية المتميزة، كما تهمش الثقافات الوطنية واللغات القومية من خلال فرض لغة وثقافة القطب الاقتصادي الذي ينتج وحده ويفرض لغته وثقافته عبر وسائل الاتصال التي يملكها"[42]. لأن القوة الاقتصادية والعسكرية والسياسية كثيرا ما تكون عرضة للانهيار، إن لم تساندها كينونة ثقافية تصونها وتثبت وجودها، وتتغلغل في الآخر فتلغي وجوده ؛ وأكثر ما يتجلى ذلك في اللسان المتكلم، والنتاج الثقافي بكل أنواعه ؛ قصص، روايات، أفلام، مسلسلات، رقص، غناء... ولذلك تحرص كل أمة إلى إثبات هويتها من خلال تطوير لغتها وثقافتها وصيانتها ونشرها بشتى الوسائل والطرائق. وهذا ما علينا فعله إن أردنا أن تكون للأمة العربية والإسلامية هوية وثقافة وحضارة بين الأمم.

إنّ مواجهة التحديات والأزمات الداخلية والخارجية تمكننا من تأكيد ذاتنا وإثبات هويتنا بين الأمم، ولذا علينا أن نعمل معا لمواجهتها، متكافلين ومتعاضدين بإعادة صياغة الخارطة الثقافية للأمة الإسلامية بما يضمن لها حضورها الفاعل بين الأمم في خارطة الغد الإنساني. وهذا لا يكون إلا من خلال :

إعادة النظر في القصة النبوية وفهمها من خلال الكشف عن المقاصد التي ترمي إليها وربطها بالعصر الذي نعيش فيه، لأنها تتماشى مع كل العصور وتتفاعل مع الكائن البشري أينما كان وحيثما حل، فهي تمثل جزءا يسيرا من الرسالة الخالدة والباقية إلى قيام الساعة. وهذا يستدعي دراسات جادة في هذا المجال خاصة مع وفرة المناهج الحديثة في اللسانيات والتي تتيح لنا آليات البحث التي تساعدنا على تحليل هذه الخطابات. وذلك لتوجيه المتلقي الوجهة الصحيحة ولمعالجة أزمة التلقي التي ولّدت صراعا داخليا بين أفراد الأمة الواحدة.

استخدام القصة النبوية كسلاح فعال في الدّفاع عن ثقافتنا وهويّتنا العربية الإسلامية من خلال تمثيلها كمسلسلات وأفلام ومسرحيات بمختلف لغات العالم لتتجاوز حدود المكان، ولتتفاعل مع الآخر رغم اختلافه عنا، ولتنشر قيم المحبة وثقافة السلام ومبادئ الأخوة والتعاون. هذا من جهة، ومن

المنارة للاستشارات

جهة أخرى لتواجه الأخطار والتهديدات التي تحيط بنا من كل جانب، من قبل وسائل الإعلام المختلفة التي تقود حربا حضارية ضدّنا، آلياتها القتالية القضاء على قيمنا الثقافية والدينية. وذلك في ظل العولمة التي تسعى جاهدة إلى جعل العالم المتعدد والمتمايز والمختلف في أطره الجغرافية واللغوية والثقافية كتلة واحدة.

نشر القصص النبوية وتوضيح قيمها الإنسانية من خلال وسائل الإعلام والاتصال المختلفة؛ المسموعة والمكتوبة والمرئية، وخاصة في هذا العصر؛ عصر التكنولوجيا والمعلومات الذي جعل العالم كأنه قرية صغيرة. فالحاجة تزداد إلى نشر ثقافتنا الإسلامية بمختلف الوسائل والسبل وتعريف الآخرين بها، وإزالة الضباب والتعتيم عن قيمنا الأصيلة.

تحمل المسؤولية من طرف أرباب الفكر والعمل من أساتذة وأدباء وكتاب ومنتجين وممثلين ومذيعين... وغيرهم، ممن يجب عليهم أن يتعلموا من تجارب الأمم المتقدمة لغة وثقافة، ويخلقوا سبلا للقصة النبوية خاصة والقصة القرآنية عامة لتنال مكانتها الحقيقية.

التمسك بالثوابت الثقافية والقيم الدينية في كل المجالات، وخاصة الإعلام الذي فقد هويته هو أيضا في ظل هذه العولمة الثقافية ذات القطب الواحد، حيث نجد وسائل الإعلام العربي تنشر برامجها مصبغة بصبغة الثقافة الغربية، في حين أن المفروض عليها صبغتها بصبغة إسلامية.

إنّ الحفاظ على الهوية الدينية والذاتية الثقافية للأمة واجب مقدس في عصر العولمة، لأن ذلك رمز كياننا وعنوان شخصيتنا العربية وهويتنا الإسلامية، "إلا أن ذلك كله لا ينفي أهمية الانفتاح على الثقافات الأخرى في جو من العقلنة، وذلك لأن الحفاظ على الهوية لا يعني الجمود بل هو عملية تتيح للمجتمع أن يتطور ويتغير دون أن يفقد هويته الأصلية، وأن يقبل التغيير دون أن يغترب فيه "[43]. فاكتساب الثقافات الأجنبية مع الاعتزاز بالثقافة العربية الإسلامية أمر يتطلبه الجانب الإيجابي للعولمة وهو الاعتراف بالآخر دون إلغاء الذات.

وفي الأخير يمكن القول إن الخطاب النّبوي يختلف عن باقي الخطابات، لأنّه يهدف إلى التغيير الإيجابي فكرا وروحا وسلوكا، ويؤسّس للمبادئ والقيم والأخلاق التي تشترك فيها كل الإنسانيّة، وذلك من خلال الأحاديث والقصص التي توجّه بها الرّسول صلى الله عليه وسلم إلى المتلقين باختلاف مشاربهم وأعمارهم وأجناسهم وما إلى ذلك، حيث راعى الفروق في خطابه لأنّه موجّه إلى العالمين كافّة في كل زمان ومكان.

والخطاب القصصي اتّخذ من اللغة وسيلة للتّواصل والتّفاعل مع المتلقي بالاقتراب من حياته الواقعيّة اليوميّة من خلال سرد قصص لنماذج بشريّة عاديّة نجحت في الحياة هذا من جهة، ومن جهة أخرى توجّهه إلى الانفتاح على الآخر من خلال قصص الأقوام الأخرى.

المنارة للاستشارات

ويمكن أن نختم هذا البحث بكلمات قالها الزعيم الهندي الشهير المهاتما غاندي: "لا أريد أن يكون منزلي محاطا بالجدران من جميع الجوانب ونوافذي مسدودة، أريد أن تهب ثقافات كل الأرض بمحاذاة منزلي وبكل حرية، لكني أرفض أن يقتلعني أحد من جذوري"[44].

المنارة للاستشارات

الهوامش والمراجع:

1 ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991، م5، ص 11.

2 سورة القصص، الآية 11.

3 سورة يوسف، الآية 03.

4 الفيروز آبادي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، 1978، ج2، ص311.

5 ينظر: وليد رفيق العياصرة، التربية الإسلامية واستراتيجياتها العملية، دار المسيرة، الأردن، ط1، 2010، ص571.

6 محمد عبد الرؤوف، أدب الأطفال وبناء الشّخصيّة (منظور تربوي إسلامي)، دار العلم، دبي، ط2، 1997، ص 112.

7 كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، دار اقرأ، السعودية، د.ط، دت، ص459.

8 مأمون فريز جرار، خصائص القصّة الإسلامية، دار المنارة، جدة، السعودية، ط1، 1988، ص113.

9 دي بوجراند : باحث لساني أمريكي قدم نظرية منسجمة في لسانيات النص في كتابه (النص والخطاب والإجراء) الذي صدر عام 1980 بغرض النظر إلى النص من زوايا مختلفة ، بداية من الرصف إلى المفاهيم ، إلى تطبيق نتائج الدراسة على المحادثة والقصص ، وصور الإنتاج النصي الأخرى قصد الاستفادة من هذا العلم أثناء الترجمة وتعلم اللغات. ينظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب، تر : تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1989، ص 69.

10 ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر، بيروت، م 3، ص 335 مادة (قصد).

11 دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 103.

12 صلاح إسماعيل ، فلسفة العقل ، دراسة في فلسفة سيرل ، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، 2007، ص 229.

13 المرجع نفسه، ص 229.

14 مجدي عرفة، الفينومينولوجيا والبحث في الإنسان، ص 5. نقلا عن : وشن دلال، القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع6،جانفي،2010، ص10

المنارة للاستشارات

15 ينظر : صلاح إسماعيل، فلسفة العقل، دراسة في فلسفة سيرل، ص 231، 232.
16 أبو زكريا يحي بن شرف النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، المكتبة العصرية، بيروت، طبعة منقحة، 2005، ص11.
17 صلاح إسماعيل، فلسفة العقل، دراسة في فلسفة سيرل، ص 230.
18 عباس علي جاسم، القصدية الحكمية وقضية التفسير القرآني، مركز الولاية للدراسات والبحوث، ط1، 2005،ص39.
19 ابن عربي، الفتوحات المكية، تح : عثمان يحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، م 4، ص 136.
20 سورة الأنفال، الآية 28.
21 إبراهيم الحازمي، الأجوبة المسكتة، دار الشريف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2001، ج 1، ص 137.
22 ينظر : يوسفي يوسف، النظام اللغوي في القرآن الكريم، مقاربة قصديّة، سورة الكهف أنموذجا، رسالة دكتوراه، إشراف: زروقي عبد القادر، جامعة السانية، وهران، 2013 /2014 ، ص 280، 281.
23 عباس علي جاسم، القصدية الحكمية، ص 40.
24 يوسفي يوسف، النظام اللغوي في القرآن الكريم، ص 281.
25 أحمد بن حنبل، المسند،تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت، ج 10، ص 76،77.
26 عبد الهادي بن ظافر الشهري،، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004، ص 388.
27 البخاري، صحيح البخاري، ج 4، ص 139، 140.
28 أحمد بن حنبل، المسند، ج 6، ص 334، 335، 336.
29 أحمد بن حنبل، المسند، ج 2، ص 510
30 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 368.
31 البخاري، صحيح البخاري، ج 4، ص 201، 202.
32 سورة الحج، الآية 38.
33 مسلم، صحيح مسلم، ج 4، رقم الحديث 2299.
34 المرجع نفسه، رقم الحديث 2288.
35 سورة سبأ، الآية 39.

المنارة للاستشارات

36 البخاري، صحيح البخاري، ج 1، ص 339 (كتاب الزكاة).
37 سورة التوبة، الآية 103.
38 البخاري، صحيح البخاري، ج 1، ص 335 (كتاب الزكاة).
39 الترمذي، السنن، تح: إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط1، 1962، ج4، ص470.
40 عمر سليمان الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 15.
41 كاشف جمال، اللغة العربية وتحديات العصر الحاضر في ظل العولمة، مذكرة الباحث، شبكة ضياء، ص 03.
42 المرجع نفسه، ص 03.
43 المرجع نفسه، ص 11.
44 المرجع نفسه، ص 12.

المنارة للاستشارات